دور الأسرة في التربية الدينية
"دراسة ميدانية على عينة من تلاميذ إكماليه سي الحواس بالجزائر العاصمة"

د.جاب الله زهية
قسم علم الاجتماع والديمغرافيا
جامعة الجزائر2

الملخص:

يهدف هذا المقال إلى تقديم قراءة سوسيولوجية للممارسات الدينية من قبل الأطفال المراهقين المتمدرسين، إلى جانب إبراز مساهمات الأسرة الجزائرية في إدراج التربية الدينية في تنشئتها للأبناء. ومدى حثها للأبناء على تطبيق الواجبات الدينية كالعبادات، والتحلي بالأخلاق الإسلامية وبالمعايير الدينية، التي على أساسها تبنى تصوراتهم وممارساتهم.

سيتم تفسير هذه الممارسات من خلال تقديم نتائج الدراسة الميدانية التي مست فئة من الأطفال المتمدرسين، والتي تهدف إلى الكشف عن إثر التربية الأسرية الدينية على ممارسات الأبناء داخل الأسرة كمؤسسة للتنشئة الاجتماعية وفي الوسط الاجتماعي المفتوح.

الكلمات المفتاحية:

الظاهرة الدينية؛ التربية الإسلامية؛ العبادات؛ المعاملات؛ الأسرة؛ المسجد؛ المدرسة.

Résumé :

Notre objectif dans cet article, est de procéder à une lecture sociologique des pratiques religieuses des jeunes adolescents scolarisés.

Pour pallier cette problématique, nous vous proposons une nouvelle conception socioculturelle de ces pratiques, et leur impact sur les comportements et les conduites des jeunes adolescents, et cela à travers quelques illustrations des résultats de notre étude portant sur : l'impact de l'éducation familiale sur les pratiques au sein de la cellule familiale comme institution sociale et le rôle de la socialisation dans ces pratiques.

Mots clés :

Phénomène religieux; éducation musulmane; les pratiques religieuses; la famille; la mosquée; l'école.

مقدمة:

يعتبر موضوع الدين وتأثيره على الحياة الجماعة من المواضيع الهامة التي اهتم بها علماء الاجتماع الكلاسيكيين والمحدثين، وذلك لما لتأثير الدين على وعي وسلوكيات الأفراد تجاه ذاتهم، جماعتهم وتجاه الله تعالى. وإذا كان لكل دين معتقداته وطقوسه وشعائره، فإن للدين الإسلامي معتقدات وطقوس دينية مستمدة من القرآن الكريم والأحاديث النبوية، التي تحدد العلاقة بين الفرد وخالقه، وتنظم الحياة الاجتماعية، بالتأثير على مختلف السلوكيات وتصورات الأفراد، في مختلف الأمور الدنيوية والأخروية.

وإذا كان البناء الاجتماعي عبارة عن نسق يتفرع منه عدة أنساق وأنظمة تعمل كلها لصالح تنظيم واستقرار المجتمع، فإن الدين يؤثر ويتأثر بمختلف الأنظمة الاجتماعية، الاقتصادية، السياسية، التربوية .... السائدة في المجتمع. وبالتالي تطبيق عقائد وشعائر الدين في مختلف الأنظمة الموجودة في المجتمع مرتبطة بالبيئة الاجتماعية السائدة ككل، وبحرص مؤسسات التربية والتنشئة الاجتماعية بما فيها الأسرة على أداء وظيفتها الدينية التي لا يمكن فصلها عن باقي الوظائف التربوية الأخرى.

- الظاهرة الدينية

ينظر للدين من خلال العلاقة الثلاثية بين الفرد، الإله، والجماعة. تنظم هذه العلاقة قواعد دينية مصدرها كتب سماوية، سنن نبوية أو ثقافة شعبية. تحدد هذه القواعد بمجموعة من عقائد وشعائر وطقوس تترجم إلى أقوال وأفعال، البعض منها عبارة عن أوامر تلزم الفرد والجماعة بتطبيقها لتدعيم العلاقة مع أفراد الجماعة أو معي الإله، والبعض الآخر عبارة عن محرمات ومكروهات ينهى الفرد والجماعة على ممارستها، وذلك للآثار السلبية التي تعود على الفرد نفسه، وعلى جماعته، وعلى علاقته بالله، علما أن هذه القواعد من أوامر ومحرمات تتعدد وتتنوع بتنوع الديانات.

لقد عرف فقهاء الدين الإسلامي الدين بأنه الإيمان بالذات الإلهية جديرة بالطاعة والعبادة "حسين عبد الحميد رشوان، (2003)» كما عرف علماء الكلام من المسلمين التدين بأنه الإيمان والاعتقاد بوجود ذات غيبية علوية، لها شعور واختيار ولها تدبر وتصرف، وتحكم في الشؤون التي يعني بها الإنسان، وأن هذا الاعتقاد يتطلب مناجاة تلك الذات الإلهية السامية في رغبة ورهبة وخشوع وتبجيل واحترام"حسين عبد الحميد رشوان (2003). في حين عرفه حسين عبد الحميد رشوان بأنه السمات العامة للطبيعة الإنسانية موجودة في كل مجتمع إنساني، وتتعلق بالحياة الروحية للمجتمع أي يشترك في اعتقادها ومزاولتها مجموعة من الأفراد، وتشتمل على معتقدات قلبية داخلية في قوى طبيعية أو فوق طبيعية يؤمن بها الأفراد كما تشتمل على طقوس وشعائر يقوم بها الأفراد وهي المظهر الخارجي للدين ونسميها عبادة ". حسين عبد الحميد رشوان، (2003).

من كل هذا يمكن فهم الدين من خلال مظهرين أساسيين: الأول داخلي يتمثل في الاعتقاد والإيمان بوجود ذات إلهية لها كمال القدرة وتمام المعرفة جديرة بالعبادة والطاعة أما المظهر الثاني فيتمثل في المظهر الخارجي للدين والذي يلاحظ في تطبيق قواعده وشعائره من خلال الممارسات.

- علماء الاجتماع والظاهرة الدينية:

إلى جانب فقهاء الدين فقد اهتم العديد من الباحثين الاجتماعيين بالظاهرة الدينية وبعلاقتها بالمجتمع، كما اهتموا بدراسة آثار الممارسات الدينية على الحياة الاجتماعية. وبغض النظر عن نوعية الدين سواء كان سماويا أو وضعيا، إلا أنهم تناولوا باهتمام العقيدة والطقوس الدينية، وعلاقتها بحياة الجماعة وبالظروف الاقتصادية، الاجتماعية الثقافية و....وغيرها.فابن خلدون مثلا اعتبر الدين احد أهم عوامل تدعيم العصبية بين أفراد الجماعة، مما يؤهلها لبلوغ الملك، فقد جاء في مقدمته "أن القلوب إذا تداعت إلى أهواء الباطل والميل إلى الدنيا، حصل التنافس وفشا الخلاف، وإذا انصرفت إلى الحق ورفضت الدنيا والباطل وأقبلت على الله اتحدت وجهتها فذهب التنافس وقل الخلاف وحسن التعاون والتعاضد واتسع نطاق الكلمة لذلك فعظمت الدولة" ابن خلدون، (1997) .

أما أوجست كونت فقد "كان يعتبر الدين وظيفة من وظائف المجتمع" محمد الجوهري وآخرون، (1975) . كما اهتم إميل دوركايم بتوضيح وظيفة الدين إذ يقول: " أن الوظيفة الأساسية للدين تتمثل في تحقيق التضامن الاجتماعي والمحافظة عليه، فالدين سوف يبقى طالما بقي المجتمع واستمر، والمعيار الأخلاقي الذي يميز عقلانية التدين يكمن في أن الإله عادل، فهو يكافئ المجيد، ويعاقب المخطئ، وهي قيمة أخلاقية يرى دوركايم أنها تحافظ على تضامن المجتمع واستقراره" محمد صلاح الدين حنفي، (2002). كما اعتبر دوركايم أن الدين رباط أساسي في المجتمعات التقليدية التي يكثر فيها التضامن العضوي، فالتشابه في الوظائف والمعتقدات والتصورات بما فيها الدينية، يزيد من قوة الضمير الجمعي، الذي يدعم استقرار حياة الجماعة. وضعف الرباط الديني في المجتمعات الحضرية ساهم في ضعف الضمير الجمعي، مما فتح المجال لبروز الفردانية والتمايز، وبناء العلاقات على أساس تحقيق المصالح الفردية.

أما ماكس فيبر " فيفسر السلوك الديني وظيفيا بالنظر إلى نتائجه بالنسبة لنموذج الحياة، فربما يصبح معتقد ديني ما وظيفيا بالنسبة لجماعة اجتماعية واحدة في المجتمع، ولا وظيفيا بالنسبة لجماعات أخرى التي تعيش في نفس المجتمع، فالأفراد يحاولون بوعي ذاتي لتدعيم نمط حياة مفضل" محمد صلاح الدين حنفي،(2002) وبالتالي ففيبر لا ينظر نظرة روحية عقائدية للدين بقدر ما ينظر لوظيفته المادية في المجتمع، ويستدل على ذلك بارتباط تطور النظام الاقتصادي الرأسمالي بظهور المذهب البروتستانتي الذي دعم تمجيد العقل، العمل والحرية الفردية .

أما روبرت ميرتون "ينتقد التفسير المتطرف للوظيفيين عن الدين ودوره في تحقيق التضامن الاجتماعي، ويرى أنه وإن كان للدين دورا باعتباره أحد وسائل تحقيق التضامن الاجتماعي بين أفراد المجتمع، إلا أن الإنسانية عبر تاريخها قد شهدت حروبا وثورات من وراء الدين، ويرى أن التسليم بالوظائف التكاملية للدين يخفي كل الحروب الدينية ..... ومع ذلك لم يخف ميرتون إعجابه بالتفسير الوظيفي للدين عند ماكس فيبر، ويظهر ذلك بوضوح من خلال قوله أن الدين ليس مجرد ظاهرة لاحقة بل قوة فعالة تمكن الإنسان من توجيه نفسه نحو العالم وتزوده بالدافعية التي تمكنه من إنجاز النشاطات المختلفة" محمد صلاح الدين حنفي، (2002) .

هذا مع العلم أن تاريخ البشرية حافل بالشهادات التي توضح آثار الممارسات الدينية على حياة الجماعة، وايجابية أو سلبية الوظيفة الدينية مرتبط بكيفية توظيف الدين، فإذا كان الغاية من توظيفه تحقيق تكامل أفراد المجتمع ببث تصورات وممارسات تحقق مصلحة الجماعة، تزيد في تضامن واستقرار المجتمع، أما إذا وظف من اجل تحقيق مصلحة خاصة أو مصلحة فئة معينة على حساب مصالح البقية، فكثيرا ما يؤدي تباين المصالح إلى توظيف طرق لا تتماشى والقيم الدينية مما يؤدي إلى اختلال توازن واستقرار المجتمع.

- التربية الدينية الإسلامية:

امتدادا لفكرة وظيفة الدين في المجتمع يستحسن أن نشير إلى مفهوم التربية بمعانيه العديدة، من تهذيب للسلوك وتقويمه وتلقين لمعارف ومهارات عملية قصد إعداد الأفراد للقيام بالأدوار المتوقعة مستقبلا، إلى جانب التعديل المستمر لسلوكيات وتصورات الأفراد تماشيا والقيم السائدة في المجتمع. كما تلعب التربية دوران متكاملان، فمن ناحية تدعم الاستقرار الاجتماعي بتلقين قيم وسلوكيات تتفق والنظم الاجتماعية السائدة، ومن ناحية أخرى تخطط وتدعم التغيير تماشيا مع تغيرات ومتطلبات المجتمع، مع الحفاظ على المقومات الأساسية التي تشكل كيان المجتمع أهمها الدين.

وما دام بحثنا يرتكز على التربية الدينية الإسلامية فإن لهذه الأخيرة عدة مظاهر " تتخذ التربية من الدين صخرة ترتكز عليها. فهي تلقن الأطفال أصول الدين، وتقودهم لطريق التقويم، وتبصرهم بالأفعال المخلة والمحرمة، وتعلمهم أصول تأدية الشعائر الدينية" حسين عبد الحميد رشوان، (2003). وإلى جانب تعليم شعائر وطقوس الدين الإسلامي، تهتم التربية الإسلامية بتلقين الفرد القيم الإسلامية التي تبنى على أساسها الأخلاق الاجتماعية التي تساهم في الحفاظ على النظام الاجتماعي بتحقيق استقراره، من هذه القيم الإسلامية التي تعمل التربية الدينية على نشرها بين الأفراد ما يلي: عبد الهادي الجوهري، (2003).

- العلم النافع للبشر وتسخيره لخيرهم.
- العمل المفيد ومراقبة الله فيه.
- التعاون على تحقيق الخير وهزيمة الشر
- الأخوة والصحبة والعلاقات الطيبة.

ومنه فالتربية الإسلامية تبقى قائمة على عقيدة وشعائر إسلامية، وهي أساس تربية سلوك ونفوس الأفراد محققتا بذلك أهدافا دنيوية ودينية.

ما دامت الأسرة الجزائرية بصفة عامة هي أسرة مسلمة، فما الدور الذي تقوم به في التربية الدينية للأبناء؟ هل تطبيق الأبناء لمبادئ الدين الإسلامي هو استجابة لتربية أسرية مقصودة؟ أم هناك مؤسسات أخرى ساهمت في وضع أرضية دينية لهم كالمدرسة والمسجد؟ أم هو التزام شخصي من طرف الأبناء بتطبيق المبادئ الإسلامية في العبادات والمعاملات؟

- دور الأسرة الجزائرية في التربية الدينية:

للإجابة عن هذه التساؤلات، تبين من خلال دراسة ميدانية [1] أن الأسرة بعاصمة الجزائرية تهتم بالتربية الإسلامية، ويمكن ملاحظة ذلك على مستوى بعدين: الأول يتعلق بأداء العبادات والثاني يتعلق بالمرجعية الدينية في المعاملات.

1-أداء العبادات:

أهم المؤشرات التي وظفناها هي: الصلاة، الصوم، التصدق، تلاوة الأذكار، قراءة القرآن خارج الدروس المدرسية.

ا-الصلاة: تعتبر الصلاة أحد أهم شعائر الدين الإسلامي، وهي فريضة على كل مسلم بالغ وعاقل، ولا يكتمل إسلام أي فرد إلا بأداء هذه العبادة بنية خالصة. وقد وردت أحاديث نبوية عديدة تؤكد ذلك منها: قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "راس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة وذروة سنمه الجهاد في سبيل الله" الشيخ سيد سابق، (1997). وهي آخر وصية وصى بها رسول اللهعليه الصلاة والسلام أمته عند مفارقة الدنيا جعل يقول وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة "الصلاة، وما ملكت أيمانكم" الشيخ سيد سابق، (1997) عن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة" الشيخ سيد سابق، (1997) . ولاعتبارها العمود الفقري للدين الإسلامي حث الرسول عليه الصلاة والسلام على تعليم الأبناء الصلاة في السابعة من العمر وإجبارهم على أدائها عند بلوغ السن العاشر، حتى تطبع في نفسهم ويتعودون على أدائها منذ مرحلة قبل البلوغ. عن مدى ممارسة المبحوثين لهذه الفريضة فإن البحث الميداني بين أن 70.4٪من المبحوثين يؤدون هذه الفريضة مقابل 28.4٪ من الذين لا يؤدونها، علما أن 1.5٪ من المبحوثين لم يجيبوا عن السؤال. وإذا كان معظم المستجوبين يؤدون هذه الفريضة، فهذا يدل على الوعي بالواجبات الدينية الذي يتحلى به المتمدرسين في مرحلة المتوسط من التعليم باعتبارهم بلغوا مرحلة البلوغ التي تفرض عليهم تطبيق هذه الفريضة

وإذا علمنا أن الفرد يتأثر بعدة مؤسسات للتنشئة الاجتماعية، فأي هذه المؤسسات ساهمت أكثر من غيرها في حث المبحوثين على الصلاة؟

حسب المعطيات الميدانية، يبرز دور الأسرة في التوجيه الديني للأبناء مقارنة بمؤسسات التنشئة الاجتماعية الأخرى كالمدرسة والمسجد وجماعة الرفاق، ب حيث54.74٪ من المبحوثين قد صرحوا أن الأسرة هي المحفزة لأداء الصلاة و 38.94٪ قد التزموا بالصلاة برغبة شخصية دون تأثير أي مؤسسة تربوية، في حين لم يصرح إلا بحوالي 5٪ من المبحوثين أن المدرسة أو المسجد هما المؤثران على أداء الصلاة. مما يعكس حرص الأسرة على أداء هذه الوظيفة، والتي كثيرا ما تكون القاعدة التي يرتكز عليها أداء بقية الوظائف الدينية. كما يبرز التزام نسبة معتبرة من المبحوثين الذين يصلون بأداء هذه الشريعة، قناعة منهم بضرورة أداء الواجبات الدينية دون التأثر بتوجيهات المؤسسات التربوية الأخرى باعتبار مرحلة المراهقة هي المرحلة التي يبدأ فيها

[1] قمنا بدراسة ميدانية في إكماليه سي الحواس بالجزائر العاصمة، تم خلالها استجواب 135 تلميذ موزعين على مختلف السنوات التعليمية من أولى متوسط إلى رابعة متوسط ومن كلا الجنسين، بحيث استجوبنا تلاميذ قسم كامل من كل مستوى. وقد أعطينا أهمية لهذه المرحلة من التعليم، باعتبارها تضم المراهقين الذين هم في مرحلة البلوغ، وهم معنيين بممارسة شعائر الدين سواء في العبادات أو في المعاملات.

الفرد بفرض توجهاته وممارساته الدينية.

ب-الصوم:الصيام عبارة عن الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية الامتثال لأمر الله تعالى، في هذا الصدد قال الله سبحانه وتعالى: ((يا أيها اللذين امنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على اللذين من قبلكم لعلكم تتقون)) (البقرة: 183)، هذه الآية تؤكد على أن الصوم فريضة على كل مسلم ومسلمة. وبما أن أغلب العائلات المسلمة تعود أبنائها على أداء هذه العبادة منذ مرحلة الطفولة، حاولنا معرفة إذا كان المبحوثين يؤدون هذه العبادة -ولو بصوم بعض أيام من شهر رمضان بالنسبة للمبحوثين الغير البالغين-وقد توصلنا إلى أن 98.5٪ من المبحوثين يشاركون أفراد الأسرة في صوم ولو بعض الأيام من شهر رمضان. علما أن واقعنا الاجتماعي يوضح أن اغلب الأطفال يقبلون على أداء هذه الفريضة منذ مرحلة الطفولة قصد تقليد البالغين من جهة، والاندماج في الأجواء الاجتماعية والدينية لشهر رمضان من جهة أخرى.

وفيما يخص مدى حث الأسرة على صوم المبحوثين مقارنة بالمؤسسات التربوية الأخرى، فإنه إذا كانت الأسرة تلعب دورا مهما في حث الأبناء على الصلاة حسب المعطيات السابقة الذكر، فإنها تقوم بنفس الدور في حث الأبناء على الصيام، باعتبار كل من الصيام والصلاة فريضتان حاضرتان في الوسط الأسري الجزائري، كثيرا ما يتعلمها الأطفال بتلقينهم طرق أدائها بطريقة صحيحة من طرف الأولياء، بحيث 48.87٪ من المبحوثين قد صرحوا أن أفراد الأسرة هم الذين حثوهم على الصوم، كما يظهر الدور الايجابي للقرارات الشخصية التي اتخذها المبحوثين في الالتزام بالصيام بحيث 45.11٪ من المبحوثين قد التزموا بالصيام تلبية لرغبة شخصية.

ج-التصدق: قال الله تعالى ((مثل اللذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم)) (سورة البقرة : 261) وقال ((وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه فاللذين أمنوا منكم وأنفقوا لهم اجر كبير)) (الحديد:92).

هذه الآيات الكريمة تؤكد أن التصدق هو أحد مظاهر العبادة، ما دام غايتها إرضاء الله تعالى إلى جانب إرضاء المحتاجين الذين هم في حاجة لهذه النفقات قصد تلبية حاجاتهم الأساسية، وإذا كانت للشريعة الإسلامية مجموعة من الأوامر، فالتصدق هي أحد مظاهرها، علما أن ثمرة التصدق تعود على المتصدق بتزكية نفسه وتطهير قلبه، إلى جانب التقرب إلى الله تعالى ونيل رضاه .

وعن مدى تصدق المبحوثين فإن معظمهم يتصدقون ولو بدينار وذلك بنسبة 87.4٪ من المبحوثين، وذلك بنية مساعدة المحتاجين ونيل رضا الله تعالى. وعن المؤسسة التربوية التي حثتهم على الإنفاق والتصدق أ كثر من غيرها فإن الأسرة هي التي لعبت دورا ايجابيا حسب تصريح 32.20٪ من المبحوثين مقابل 13.56٪ للذين صرحوا أن المدرسة هي التي حفزتهم على التصدق و 5.93٪ للذين أجابوا أن المسجد هو المشجع لهم. بالرغم من أن نسبة الذين حثتهم الأسرة على التصدق يمثلون نسبة معتبرة مقارنة بالمؤسسات الأخرى إلا أن الذين يتصدقون بمحض إرادتهم دون التأثر بالغير يشكلون أكبر نسبة بحيث بلغت نسبتهم 45.76٪ من المبحوثين.

إذا كانت الأسرة تلعب دورا مهما في الحث على الصلاة والصيام، فإنها حسب المعطيات الميدانية رغم تقدمها عن دور كل من المدرسة والمسجد في الحث على التصدق، إلا أن دورها يتراجع أمام اقتناع المبحوثين على أداء هذا النوع من العبادة دون اعتبارات أسرية، وإنما لقناعة شخصية ولحاجة نفسية في تحقيق البر والرأفة والرحمة على المحتاجين والسائلين، وهي أحد مظاهر الأخلاق الإسلامية.

د-تلاوة**الأذكار: قصدنا** بتلاوة الأذكار تعويد الفرد على قراءة وحفظ الكلام المقدس والأحاديث النبوية الشريفة التي تطهر النفوس وتبعث فيها الطمأنينة والراحة والشعور بالأمان والسكينة، يقول الله تعالى ((الذين ء امنوا تطمئن قلوبهم بذكر الله إلا بذكر الله تطمئن القلوب)) (الرعد:28).

وعن ممارسة المبحوثين لهذه العبادة فإن 56.3٪ من المبحوثين يتلون هذه الأذكار، مقارنة بنسب المبحوثين الذين يؤدون فريضة الصلاة والصيام، يتبين لنا أن نسبة الذين يتلون أذكار الصباح والمساء هي نسبية إذ تقارب 56.3٪ من إجابات المبحوثين، وقد يرجع السبب لاعتبارها ليست من الفرائض وبالتالي تلاوتها مرتبط بإدراك مدى فضلها وأهميتها في تحقيق الطمأنينة والسكينة، باللجوء إلى الكلام المقدس أو الأحاديث النبوية.

فيما يخص مجموعة المبحوثين الذين يتلون أذكار الصباح والمساء ولو أحيانا فإن المؤسسة التربوية التي حثتهم على تلاوتها أكثر من غيرها هي الأسرة وذلك بنسبة36.84٪ من المبحوثين مقارنة بـ17.10٪ للذين صرحوا أن المسجد هو الذي حثهم، و13.16٪ للذين يرجعون فضل التلاوة للمدرسة، هذا إلى جانب النسبة المعتبرة من المستجوبين الذين ارجعوا فضل تلاوة الأذكار لقرار شخصي ناتج عن قناعة بأهمية فضائل التلاوة للأذكار وذلك بنسبة 31.58٪. ومنه يظهر مرة أخرى الدور الايجابي للأسرة في أداء الوظيفة الدينية بما فيها تعليم الأبناء بعض أذكار الصباح والمساء مقارنة بدور المدرسة والمسجد، دون إغفال الجهد الشخصي للمبحوث في تعلم بعض هذه الأذكار وتلاوتها بنية التقرب من الله بالتسبيح، التحميد والتكبير والتوحيد والدعاء وغيرها من الأذكار التي تقوي إيمان الأفراد.

هـ-قراءة القرآن:"عن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((مثلُ المُؤمنِ الذي يقرأُ القرآنَ مثلُ الأُترُجةِ ريحُها طيبٌ وطعمها طيبٌ. ومثلُ المؤمنُ الذي لا يقرأُ القرآنَ مثلُ التمرةِ لا ريحَ لها وطعمها حلوٌ. ومثلُ المنافق الذي يقرأُ القرآن مثلُ الريحانةِ ريحها طيبٌ وطعمها مرٌّ. ومثلُ المنافقِ الذي لا يقرأُ القرآنَ، كمثل الحنظلةِ ليس لها ريحٌ وطعمها مرٌّ))"" الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (2005).

والقرآن الكريم الجامع لكلام الله تعالى هو مصدر العبادة، ودليل لتوجيه المسلمين في الاتجاه الصحيح في الحياة اليومية وفي المعاملات، وقراءة القرآن الكريم هي أحد الطرق التي تمد جسور الصلة بالله الواحد وتعزز الشعور بالأمان بالاستعانة واللجوء إلى الله تعالى.

لمعرفة مدى ممارسة هذه العبادة من طرف المبحوثين طرحنا عليهم سؤال يتعلق بقراءتهم القرآن خارج دروسهم المدرسية، وقد تحصلنا على إجابات توضح أن 89.63٪ من المبحوثين يقرؤون القرآن خارج دروسهم المدرسية ولو مرة في الأسبوع، علما أننا لم نقصد القراءة فقط من المصحف الشريف وإنما شملنا

أيضا القراءة الشفوية للآيات والسور التي حفظها المبحوثين في المدرسة أو بجهد شخصي. عن المؤسسة التي حثتهم على هذه العبادة فإن البحث الميداني قد وضح تقدم الأسرة عن المدرسة والمسجد في حث الأبناء على تلاوة القرآن الكريم وذلك بنسبة 37.19٪ من المبحوثين مقابل 16.53٪ للذين أجابوا إن المدرسة هي التي حثتهم و 17.35٪ للذين صرحوا أن المسجد هو المحفز لقراءتهم للقرآن، هذا إلى جانب النسبة المعتبرة من المبحوثين الذين ارجعوا الفضل لرغبتهم الشخصية في التلاوة للكتاب المقدس. بالتالي هذه معطيات الإحصائية تؤكد هي الأخرى تقدم رتبة الأسرة عن المؤسسات التربوية الأخرى في حث الأبناء على تطبيق العبادات سواء كانت فرائض أو لا، كما تؤكد النية الحسنة للمبحوثين في أدائها بقناعة بما فيها قراءة القرآن. أما دور المسجد والمدرسة فتبقى رسالتهم الدينية لم تبلغ المكانة التي حققتها الأسرة وذلك قد يرجع لاعتبار الأسرة هي أول مؤسسة يحتك بها الطفل، وبتالي رسالة الأسرة تبقى راسخة في ممارسات وتصورات الأفراد. أما تراجع دور المدرسة والمسجد مقارنة بدور الأسرة فهي ترجع لاعتبار المدرسة مؤسسة تقوم بالوظيفة التعليمية أكثر من الوظيفة الدينية أما المسجد فتراجع دوره يرجع لاعتباره مكان لأداء الصلاة أكثر من اعتباره مؤسسة تربوية دينية. علما أنه حسب تصريحات المبحوثين الذين يصلون، فإن الذكور أغلبهم يدخلون المسجد لصلاة الجمعة فقط، أما الفتيات فاغلبهن يؤدونها في المنزل. في حين في الوسط الأسري، تكون الوظيفة الدينية وظيفة مقصودة بحيث منذ الطفولة المبكرة يحاول الوالدان باستمرار تنشئة الأبناء على أساس قيم دينية سليمة واستجابة الأبناء لهذه الوظيفة تكون مرتبطة بالمؤسسات والجماعات التي يحتك بها باستمرار خارج الوسط الأسري.

2-المرجعية الدينية في المعاملات:

إذا كانت الأسرة من أهم مؤسسات التنشئة الاجتماعية التي تعمل على إعداد الفرد لمواجهة مختلف المواقف في الحياة الاجتماعية، فإن من المبادئ الأولى التي تقدمها للطفل هو الرجوع للقيم الدينية في المعاملات مع الآخرين، وقد حددنا بعض المؤشرات التي تعكس المرجعية الدينية في المعاملات كروح التسامح، روح التعاون، والطرق التي تتبع في حل المشاكل اليومية، لمعرفة إذا كانت الأسرة الجزائرية تساهم في ترجمة القيم الدينية في مختلف المواقف في الحياة الاجتماعية.

ا-روح التسامح: دعا الإسلام إلى العفو والتسامح لنشر الولاء والمحبة بين أفراد الجماعة وتعزيز معاني البر والخير عملا ونيتا لتطهير النفوس من الغل والعدوان، فطبيعة القيم الإسلامية توحد ولا تشتت، تجمع ولا تفرق بين أفراد الأمة المسلمة. عن العفو والتواضع جاء في صحيح مسلم «حدثنا يحيى بن أيوب وقتيبة وابن حجرٍ قالوا: حدثنا إسماعيل (يعنون ابن جعفر) عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ((ما نقصتْ صدقةٌ من مالٍ. وما زاد اللهُ عبدًا بعفوٍ إلاَّ عزًّا. وما تواضع أحدٌ لِلّهِ إلا رفعهُ اللهُ)) "" الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (2005).

إذا كان العفو والتسامح من القيم التي تعزز التضامن الاجتماعي، فهو الأخر يعزز علاقة المتسامح بالله تعالى بالرضي عليه ورفع مكانتهم. لمعرفة مدى تحلي المبحوثين بهذه القيمة الإسلامية وتطبيقها في تعاملاتهم اليومية، طرحنا عليهم سؤال يتعلق بمدى تسامحهم إذا تعدى أحدهم عن حقهم قصدا، وتوصلنا

إلى أن 62.2٪ من المبحوثين يتسامحون مع غيرهم، لكن رغم ذلك تبقى نسبة مهمة من المبحوثين الذين لا يتسامحون إذا تعدى أحدهم قصدا عن حقهم والتي تمثل 37.8٪ من المبحوثين، وقد يرجع ذلك لطبيعة الضرر الذي ألحق بهم أو لخصائص المرحلة العمرية التي هم فيها، فالمراهق كثيرا ما يميل إلى فرض مواقفه ولو بطرق عدوانية.

وعن المؤسسة التي لعبت دورا ايجابيا أكثر من غيرها في غرس قيم التسامح في نفوس المبحوثين المتسامحين فإن أعلى نسبة من الإجابات ارتكزت على تأثير الأسرة في غرس قيم التسامح في نفوس المبحوثين وذلك بنسبة 39.28٪، مما يدعم الوظيفة الايجابية التي تقوم بها الأسرة في التربية الدينية للأبناء سواء في العبادات أو في المعاملات، تليها المدرسة بنسبة 20.24٪ ثم المسجد بنسبة 8.33٪. كما توضح المعطيات الميدانية نسبة معتبرة من المبحوثين والتي تمثل 28.57٪ للذين اتخذوا قرارات شخصية دون تأثير المؤسسات الأخرى في التحلي بهذه القيمة الدينية والاجتماعية، قصد التنازل لتحقيق استمرارية العلاقات الاجتماعية من جهة ومن جهة أخرى لتحلي بأحد صفات الله تعالى وهي الغفران والعفو.

ب- روح التعاون : جاء الإسلام لجمع شمل المسلمين بالنهي عن البغي والظلم والعدوان، بهدف تقوية وحدة الجماعة المسلمة، كما أمر بمكارم الأخلاق من التعاون والبر والتقوى والصبر واحتمال الأذى مما يتلقاه من إخوانه المسلمين سواء كان ماديا أو معنويا، لتدعيم الأخوة والتماسك في الدين وفي الإنسانية . ومن الأحاديث النبوية التي تؤكد دعوة الدين الإسلامي للتعاون والتآزر ما يلي : ""حدثنا أبو هاشم الرفاعي، حدثنا محمد بن فضيل عن الوليد بن عبد الله ابن جميع عن أبي الطفيل عن حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((لا تكونوا إمَّعةَ تقُّولُونَ أن أحسن الناسُ أحسنَّا، وان ظَلموا ظَلمنَا، ولكن وطِّنوا أنفسكم، إن أحسن الناسُ أنْ تُحسنوا، وإن أساءوا فلا تَظلمُوا))"" الإمام الحافظ أبي العلا محمد عبد الرحمان، (1995) . وقد جاء في فقه السنة للشيخ سيد سابق "" لن تصل الجماعة إلى تماسكها إلا إذا بذل لها كل فرد من ذات نفسه وذات يده وكان عونا لها في كل أمر من الأمور التي تهمها سواء كانت هذه المعاونة معاونة مادية أو أدبية وسواء كانت معاونة بـ: المال، أو العلم، أو الرأي، أو المشورة. فالناس عيال الله، أحبهم إلى الله انفعهم لعياله ((خير الناس انفعهم للناس)) ((إن الله يحب إغاثة اللهفان)) ((اشفعوا تؤجروا))"" الشيخ سيد سابق، (1997) وقال الله تعالى ((وأحسن كما أحسن الله إليك)) (سورة القصص: 77). ولمعرفة مدى تحلي المبحوثين بهذه القيمة الإسلامية حاولنا توجيه لهم السؤال التالي: إذا طلب منك مساعدة شخصا أساء لك سابقا هل تقدمها له؟

وقد بينت الإجابات المتوصل إليها أن 85.9٪ من المبحوثين يقدمون مساعدة للذين أساءوا لهم سابقا إذا قصدوهم للمساعدة، مما يعكس استعداد المراهق لتحلي بشيم التعاون والتآزر مع الغير إذا استدعت الضرورة لذلك. وعن المؤسسة التي غرست فيهم روح التعاون أكثر من غيرها فإن الأسرة والاستعداد الشخصي للفرد في التعاون مع الغير، قد ساهما بشكل متواز في غرس روح التعاون في نفوس المبحوثين، وذلك بنسبة تتقارب 33٪ لكل من أجاب أن الأسرة هي المحفزة، علما أن دور الأسرة يساهم بشكل واضح في توجيه الأبناء لاتخاذ قرارات تتماشى والقيم السائدة في الوسط الأسري، أو أجاب بقناعة شخصية دون التأثر بتوجهات أي مؤسسة أخرى.

أما دور المدرسة بالرغم من تواضعه أمام دور الأسرة في التأثير على التحلي بروح التعاون مشكلة نسبة20.69٪ من إجابات المبحوثين، إلا أنها تساهم ولو نسبيا في نشر هذه القيمة الاجتماعية في نفوس المتمدرسين، سواء من خلال البرامج الدراسية أو من خلال توجيه العلاقات بين التلاميذ أو بين التلاميذ والمدرسين، لتربية النشء على أساس التعاون التماسك والتآزر لتحقيق وحدة الجماعة.

ج-الطرق التي تتبع في حل المشاكل اليومية:ان الحياة المعاصرة متعددة المظاهر ايجابية كانت أو سلبية، وتحمل الكثير من المفاجآت ذات الأثر السلبي على الفرد وعلى المجتمع، وكثيرا ما يبتلى الفرد بالموت أو بنقص في الأموال، والأبناء الصحة، وغيرها إلى جانب المشاكل التي قد يواجهها في تعاملاته اليومية، كالعدوان، والظلم، والفساد، وضياع الحقوق، وانتهاك الأعراض وغيرها من المشاكل التي يسببها نقص الإيمان والابتعاد عن قيم الشريعة الإسلامية في التعاملات بين الأفراد. الأمر الذي يدفع بالفرد إلى إيجاد حل مناسب لمشاكله حسب تصوره، فالعديد يعتمد على الطرق الأكثر انتشارا في المجتمع وذات مردودية في إيجاد الحلول، أهمها الاعتماد على وسطاء ذات نفوذ وقدرة على حل هذه المشاكل. كما يعتمد العديد أيضا على قدراتهم وإمكانياتهم الشخصية مادية كانت أو معنوية دون الاستعانة بالآخرين، باعتبار أن المشاكل الشخصية لا تحل إلا بإرادة وإمكانيات شخصية. كما يوجد فئة مهمة من الأفراد الذين يسهرون يدعون ويتضرعون لله لقضاء حاجاتهم وحل مشكلهم إيمانا منهم باستجابة الله لسؤالهم، علما أن الآيات الكريمة التي تؤكد تحبيذ الدعاء والوعد بالاستجابة عديدة، منها قول الله سبحانه وتعالى ((ادعوني استجيب لكم ان اللذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين)) (غافر:60) وقال ((و إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان)) (البقرة : 187) وفي نفس السياق "روى الترمذي عنه : أن صلوات الله عليه وسلامه قال ((ليس شيء أكرم على الله من الدعاء))" الشيخ سيد سابق، (1997) .

لمعرفة إذا كانت الطرق التي يعتمد عليها المبحوثين في حل مشاكلهم يطغى عليها الاعتقاد بقدرة الله واستجابته بالدعاء والتضرع، أو يطغى عليها الاعتماد على علاقات شخصية أو إمكانيات خاصة لضرورة أملتها ظروف الحياة الاجتماعية، فإن نتائج البحث الميداني توضح قوة اعتقاد المبحوثين بالقدرة الإلهية، إذ 65.2٪من المبحوثين يلجئون للدعاء والتضرع لحل مشاكلهم مقابل 13.3٪ للذين يعتمدون على النفس دون الاتكال على الغير و16.3٪للذين يعتمدون على أشخاص مقربين للتدخل لحل مشاكلهم، بالرغم من أن واقعنا يبين طغيان الاعتماد على علاقات الوساطة والمحسوبية في الحصول على أبسط الحقوق.

وعن المؤسسة التي ساهمت في توجيه المبحوثين للدعاء والتضرع أكثر من غيرها فإن مثل باقي المعطيات السابقة فقد تبين لنا تراجع دور كل من المدرسة والمسجد في غرس في نفوس الأطفال القيم الدينية المتعلقة بالعبادات والتعاملات مقارنة بدور الأسرة، إذ 44.32٪ من إجابات المبحوثين الذين يعتمدون على التضرع والدعاء قد ركزت على الدور الايجابي للأسرة في حثهم على الدعاء والتضرع في قضاء حوائجهم مقابل17.04٪ للذين أجابوا أن المسجد هو الذي حثهم على الدعاء والتضرع، و 12.5٪ للذين أجابوا أن المدرسة هي التي غرست في نفوسهم هذه الفضيلة، علما أن تواجد المبحوث في المدرسة أو المسجد هو محدود

مقارنة بالمدة التي يقضيها في وسطه الأسري، وبالتالي الثقافة الدينية التي يكتسبها في المؤسستين لا تترك أثر فعال في نفوس الأفراد مقابل الأثر الذي تتركه الأسرة.

بالرغم من أن الحياة الاجتماعية المعاصرة بقدر ما زادت تقدما علميا اجتماعيا وماديا، بقدر ما زادت تعقدا وضعفا في العلاقات الاجتماعية، إذ أصبح متغير المصلحة هو الذي يطغى على العلاقات الشخصية، وبالتالي ضعف هذه العلاقات ساهم في بروز العديد من المشاكل كثيرا ما يستدعي الوضع اللجوء إلى مقربين ووسطاء ذوي نفوذ وقدرة على حلها، لكن رغم ذلك بقيت الأسرة تستمر في السعي لتدعيم علاقة الأبناء بالله تعالى بالاتكال عليه والاستعانة به بالدعاء والتضرع، إيمانا بالقدرة الإلهية على الاستجابة.

خلاصة:

تؤكد نتائج البحث الميداني على حضور التربية الإسلامية في التنشئة الاجتماعية للأسرة الجزائرية، بالرغم من الضغوطات التي تواجه الحياة الاجتماعية، نتيجة ظاهرة العولمة وانفتاح المجتمع الجزائري على الثقافات العالمية نتيجة التطور الكبير في تكنولوجيا الإعلام والاتصال.

نتيجة كل هذا تحاول الأسرة الجزائرية التأكيد على التربية الدينية سواء تعلق الأمر بأداء الواجبات الدينية كالصلاة والصوم التصدق والإنفاق على السائلين والمحتاجين. اضافة إلى كل هذا تقدم نتائج الدراسة ممارسات دينية أخرى مثل تلاوة الأذكار والقرآن الكريم

تسعى الأسرة الجزائرية من تنشئة الأطفال تنشئة دينية منذ مراحل مبكرة من العمر على تحضيرهم لأداء واجباتهم تجاه الله تعالى مع تطبع هذه العبادة في نفوس الأطفال.

وبالرغم من أن الغاية الأساسية من هذه التربية هي تأكيد القيم الاجتماعية المنبثقة من الثقافة الإسلامية، التي تسطر معالم الحياة الدنيوية مثل التعاون والتسامح وغيرها من قيم الدين الإسلامي. إلا أن الإشكال الذي يبقى مطروحا هو مدى تقبل الأطفال لهذه الثقافة خصوصا مع اصطدام هذه الثقافة مع الثقافة العالمية، والتي أصبحت المجتمعات تتقاسمها نتيجة انفتاحها على الثقافة العالمية.

هل تتمكن الأسرة الجزائرية من الصمود أمام الثقافة العالمية مما يسمح لها بتطبيع أبنائها تطبيعا دينيا، هل يتمكن الأطفال من جهتهم على التمسك بالقيم الدينية الإسلامية، خصوصا وأنهم مطلعون على الثقافات العالمية الأخرى؟

قائمة المراجع:

- ابن خلدون، (1997)، مقدمة ابن خلدون، دار الفكر العربي، بيروت.
- الإمام الحافظ أبي العلا محمد عبد الرحمان، (1995)، تحفة الاحوذي: بشرح جامع الترمذي: الجزء السادس، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الإمام أبي الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، (2005)، صحيح مسلم، دار الأفاق العربية، القاهرة.
- الشيخ سيد سابق، (1997)، فقه السنة، الجزء الأول: العبادات، إشراف مكتبة البحوث والدراسات، بيروت، دار الفكر للطبع والنشر والتوزيع.
- حسين عبد الحميد رشوان، (2003)، تطور النظم الاجتماعية وأثرها في الفرد والمجتمع، الطبعة الرابعة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية.
- الشيخ سيد سابق، (1997)، فقه السنة، الجزءالثالث: السلم والحرب-المعاملات، إشراف مكتبة البحوث والدراسات، بيروت، دار الفكر العربي للطباعة والنشر والتوزيع .
- محمد الجوهري وآخرون، (1975)، دراسة علم الاجتماع، دار المعارف، مصر.
- محمد صلاح الدين حنفي، (2002)، التحليل السوسيولوجي للتوجهات الدينية: دراسة في علم الاجتماع الديني، القاهرة.